

أسرار زوجية

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فاتَّقوا الله - عباد الله - حقَّ التَّقوى، فمن اتَّقى ربَّه علا، ومن أعرض عنه غوى.

أيها المسلمون :

الأسرة أساس المجتمع منها تفترق الأمم وتنتشر الشُّعوب نواة بنائها الزوجان ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، والأسرة هي المأوى الذي هياؤه الله للبشر يستقر فيه ويسكن إليه، في الزواج إعمار الكون وسكون النَّفس ومتاع الحياة. بقيامه تنتظم الحياة، ويتحقق العفاف والإحصان، يجمع الله بالنكاح الأرحام المتباعدة والأنساب المتفرقة، وعد الله فيه بالغنَى والسعة في الرزق ولا خُلْف لوعده الله ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الثور: ٣٢].

وفي اختيار لبنة النِّكاح تتسع الآفاق، فيقرب البعيد، ويُبِّرُ القريب. وهموم الزوجين عديدة ومتشعبة، ولكن حسن العشرة وطيب المودة

بيدها ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وفي الأسرة عتاب ومودة، سخط ورضا، والرجل يرفعه الأدب، ويزكيه العقل، يضع من المودة أعلاها، ومن المحبة أسماها، يعفو عن الخطأ، ويتجاوز عن الزلل، والمرأة خلقت من ضلع أعوج، وبمداراتها والصبر على ما يكرهه منها تستقيم الأمور، يقول عليه الصلاة والسلام: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهنّ خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» (متفق عليه). ومن كرم أصله لان قلبه، وزوجتك هي حاملة أولادك، وراعية أموالك، وحافضة أسرارك، اخفض الجناح معها، وأظهر البشاشة لها، فالابتسامة تحيي النفوس، وتمحو ضغائن الصدور.

والثناء على الزوجات في الملبس والمأكل والزينة جاذب لأفئدتهم، وقد أباح الإسلام الكذب مع الزوجة لزيادة المودة لها، والهدية بين الزوجين مفتاح للقلوب، تنبيء عن محبة وسرور، والتبسط معها ونبذ الغموض والكبرياء من سيما الحياة السعيدة، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي - أي: في الأنس والسهولة - فإن كان في القوم كان رجلاً».

وكن زوجاً مستقيماً في حياتك، تكن هي بإذن الله أقوم، ولا تمدن عينيك إلى ما لا يحل لك فالمعصية شؤم في بيت الزوجة، ومشاهدة الفضائيات يقبح جمال الزوجة عند زوجها، وينقص قدر زوجها عندها، فتتباعد القلوب وتنقص المحبة، وتضمحل المودة، ويبدأ الشقاق، ولا أسلم من الخلاص منها.

وكن لزوجتك كما تحب أن تكون هي لك في كل ميادين الحياة، فإنها تحب منك كما تحب منها، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إني أحبُّ أن أتزين للمرأة كما أحبُّ أن تتزين لي»، واستمع إلى نقد زوجتك بصدر

رحب وبشاشة خلق، فقد كان نساء النَّبِيِّ ﷺ يراجعنه في الرَّأْيِ فلا يغضب منهن، ومن علو النَّفْسِ أن لا يأخذ الزَّوْجَ من مال زوجته شيئاً إلا برضاها فمالها ملك لها، وأحسن إليها بالنفقة بالمعروف، ولا تبخل عليها، وتذكر أن زوجتك تود الحديث معك في جميع شؤونها، فارع لها سمعك فهذا من كمال الأدب، ولا تعد إلى دارك كالحال الوجه، عابس المحيا، فأولادك بحاجة إلى عطفك وقربك وحديثك، وألن لهم جانبك وانشر بين أيديهم أبوتك، ودعهم يفرحون بتوجيهك وحسن إنصاتك، فقد كان النَّبِيُّ ﷺ إذا رأى ابنته فاطمة قال لها: «مرحباً يا بنيتي ثم يجلسها عن يمينه أو شماله» (رواه مسلم).

الحنو على أهل البيت شموخ في الرَّجُولَةِ، يقول البراء بن مَرْثَدَةَ: «دخلت مع أبي بكر على أهله، فإذا ابنته عائشة مضطجعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباهاً أبا بكر يقبل خدَّها - وكانت صغيرة آنذاك - ويقول: كيف أنت يا بنية؟» (رواه البخاري). والقيام بأعباء المنزل من شيم الأوفياء، قيل لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: «كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه» (رواه أحمد). والكرم في النَّفَقَةِ على أهل بيتك أفضل البذل، ولا يطغى بقاؤك عند أصحابك على حقوق أولادك، فأهلك أحق بك، ولا تذكر زوجتك بعيوب بدرت منها، ولا تلمزها بتلك الزلات والمعاييب، وأخف مشاكل الزَّوْجِينَ عن الأبناء، ففي إظهارها تأثير على التَّربِيَةِ، واحترام الوالدين. والغضب أساس الشَّحْنَاءِ، وما بينك وبين زوجتك أسمى أن تدنسه لحظة غضب عارمة، وآثر السُّكُوتِ على سخط المقال، والعفو عن الزلات أقرب إلى العقل والتَّقْوَى، يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «النِّسَاءُ عَوْرَةٌ فاستروهن بالبيوت وداووا ضعفهن بالسُّكُوت».

إنَّ حَقَّ الزَّوْجَةِ على الزَّوْجِ عَظِيمٌ، أُسْرَتُ بالعقود، وأوثقت بالعهود، الزوجات يكرمهن الكريم، ويعلي شأنهن العظيم، تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

«كان النَّبِيُّ ﷺ يكثر ذكر خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَرُبَّمَا ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فَرُبَّمَا قُلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة» (رواه البخاري).

والزوجة الحاذقة تجعل قلبها لزوجها سكوناً، وتجعل في نفسها طمأنينة، وفي حديثها معه ابتهاجاً وزينة، تصحبه بالقناعة، وطيب المعاشرة.

بحسن السَّمع والطَّاعة في غير معصية، تعترف بجميل الزوج وفضله، وتقوم بحقوقه، تؤمن بعلو منزلته وعظيم مكانته، يقول عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحدٍ، لأمرت الزَّوجة أن تسجد لزوجها»، يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: «وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج».

المرأة الصالحة إن رأت زوجها جنح ذكَّرتَه بالله، وإن رآته يكدح للفانية ذكرته بالآخرة الباقية، تعينه على نوائب الدهر، لا تفشي له سرّاً، ولا تعصي له أمراً في غير معصية الله، تعين زوجها على بر والديه، فمن تحت يديهما نشأ، وعلى أنظارهما ترعرع، تطلب رضا ربها برضا زوجها، لا تتبُّع هفواته، ولا تُظهر زلاته، حافظه له في الغيب والشهادة، إن حضر أكرمته، وإن غاب صانته، لا تشطط على زوجها في النفقة، همُّها طاعة ربِّها برضا زوجها، وتنشئة أولادها على الصلاح والاستقامة، لا ترفع عليه صوتاً، ولا تخالف له رأياً، بشر النَّبِيِّ ﷺ خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بيت في الجَنَّة من قصب اللؤلؤ لا صحب فيه ولا نصب، قال ابن كثير - رحمه الله -: «لا صحب فيه ولا نصب؛ لأنها لم ترفع صوتها على النَّبِيِّ ﷺ، ولم تتعبه يوماً من الدهر، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً»، وقد أوصت حكيمة من العرب ابنتها عند زواجها بقولها: «يا بنية إنك لن تصلي إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت». والعفة محور الحياة الكريمة، وزينة الزوجة قرارها

في دارها، تقول فاطمة رضي الله عنها: «خير للمرأة أن لا ترى الرجال». ذات الدين مطيعة لربها ثم لزوجها، لا تتعالى عليه ولا تتمرد على قوامته، ولا تسعى إلى منازعته، تراها ساعية في راحة زوجها، قائمة على خدمته، راغبة في رضاه، حافظة لنفسها، يدها في يد زوجها، لا تنام إذا غضب عليها زوجها حتى يرضى، كل ذلك ليقينها بأن فوزها بالجنة معلق بطاعة زوجها، مع قيامها بما فرض الله عليها.

أيها المسلمون :

النعمة لا تشكر بالخطيئة، وليفة زفاف الزوجة إلى زوجها من آلاء الله العظيمة، والابتهاج بها لا يكون بنزع الحياء فيها، فيحرم على النساء الملبس المتعري ليلة النكاح، ولو بين النساء، لما فيه من الفتنة ومجانبة الستر والعفة، والمرأة مستضعفة إن لم تؤخذ بيد وليها جنحت مع نفسها بهواها، والغناء والمعازف في ليالي الأفراح وغيرها محرمة، وفي الضرب بالدف ليلة النكاح للنساء سنة شرعها الإسلام، وفيه غنية عن الحرام من المعازف والغناء، والتصوير من كبائر الذنوب، متوعد صاحبه باللعنة وولوج النار، يقول عليه الصلاة والسلام: «كل مصور في النار» (متفق عليه)، وقد تسري صور النساء إلى غير المحارم من الرجال فتنهار بذلك بيوت، وقد أفتى أهل العلم بحرمة إجابة دعوة فيها منكر لا قدرة على تغييره، وإن التبذير والمخيلة في الاحتفالات أثرة على الزوج وركضة من الشيطان، ولو جمع ما بذخ من المال للزوج لبناء مسكن له أو قضاء دينه لكان خيراً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾

[الفرقان: ٥٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد : أيها المسلمون :

في النساء فئة أحرص الحياء لسانها عن الشُّكوى، صرخاتها مكتومة في أعماق جروح قلبها، تعيش صراعاً نفسياً في مجتمعها، تبيت مع القلق والحزن، يؤرقها الهم والفكر، أيامها غالية، وشهورها أغلى، كل يوم تغرب فيه الشمس تتبدد أحلامها بحياة سعيدة، وتتألم خوفاً من دخول بوابة العنوسة، لم تنعم بالأمومة والزوجية، بددت حياتها بشروط وهمية في اختيار زوجها، وأخرى آثرت التعليم على بناء الأسرة، ففجئت بإعراض الأزواج عنها لتقدم سنّها، وما قيمة الشهادة مع الحرمان من الزوج والأبناء.

وفي الآباء مَنْ ظلم بنته وأذاقها ألماً وحسرة بتأخير زواجها، جشعاً في وظيفتها ومالها، ومنهم من ظلمها بتزويجها ابن عمّها قسراً جرياً وراء التقاليد والأعراف المخالفة للشَّرْع. والزَّواج المبكر إغلاق لتلك البوابة الحزينة، وقد تزوج النَّبي ﷺ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي تلعب في أرجوحة لها، وهي بنت تسع سنين، وصغر سنّها لم يحجزها عن الزَّواج بأعظم الرِّجال، وتحمل مهام بيت النُّبوة وواجباته وحقوقه، بل كانت تلك

الصَّغِيرَة هي أحب نسائه إليه عليه الصَّلَاة والسَّلَام، فلنتخذ من شريعتنا واقعاً لنا ليسعد الفتيان والفتيات بزواجهن في سنِّ مبكرة، ونُيسِّر أمورهن لينهض المجتمع ويسلم من الانحراف، ومع بزوغ الفتن وتجدها يكون الأمر ألزم والحكم أكد.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلَاة والسَّلَام على نبيه . . .